

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

عُرِّضَ بِمَجْمَلٍ لِسِيرَتِهِ وَنَبَتْ بِمُؤَلَّفَاتِهِ

د . بديع السيد اللحام



يعدُّ الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي أحد أبرز علماء الشريعة والإقتصاد الإسلامي ، وقد ترك بصمات علمية متميزة تدل على علو كعبه وعمق تمكنه في العلوم المعارف الشرعية مع موائمة ومواكبة للتطورات المعاصرة التي يشهدها العالم اليوم،

وقد جمع رحمه الله بين عمق المعرفة والتمكن من مناهج البحث مما ساعده على إثراء المكتبة العربية بمؤلفات قيمة أخذت مكانها اللائق على ساحة الدراسة والتدريس، وسأحاول في هذا البحث أن أُلْمِّ بأبرز النقاط المتعلقة بسيرة حياته الغنية، ومن ثم أعتمد إلى ذكر أهم مؤلفاته، راجياً من الله تعالى أن أكون قد وفيت أستاذي الجليل رحمه الله بعضاً من حقه عليّ.

أولاً - سيرته :

هو الفقيه، الأصولي، المفسر الأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفى بن وهبة الزحيلي، وكنيته (أبوعبادة).

ولد في دير عطية (من ريف دمشق بسورية - منتصف الطريق بين دمشق وحمص) عام (1932م)، لوالدين اتسما بالصلاح والتقوى. نشأ الدكتور وهبة ببلدته ودرس المرحلة الابتدائية فيها، ثم توجّه للدراسة في الكلية (الثانوية) الشرعية بدمشق سنة (1946م)، وبعد ستة أعوام حصل منها على الشهادة الثانوية بتقدير ممتاز، سافر على إثر ذلك لمتابعة الدراسة في كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وقرن معها دراسة القانون في كلية الحقوق بجامعة عين شمس بالقاهرة، وقد حصل على الشهادات التالية:

- العالية في الشريعة بجامعة الأزهر عام (1956م).
- إجازة التخصص بالتدريس (دبلوم التربية) من كلية اللغة العربية بالأزهر، عام (1957م).
- الليسانس في الحقوق من جامعة عين شمس عام (1957م).

- دبلومي الدراسات العليا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة (وهي توازي درجة الماجستير).
- الدكتوراه في الحقوق (اختصاص الفقه الإسلامي) سنة (1963م), في قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق (جامعة القاهرة) وعنوان أطروحته "آثار الحرب في الفقه الإسلامي" ونالها بمرتبة الشرف الأولى, مع التوصية بطباعتها والتبادل مع الجامعات الأجنبية.

أهم خصاله وشمائله:

كان رحمه الله شديد الحرص على العلم والدراسة مستغرقاً جميع وقته بين الكتب باحثاً ومنقياً ومتابعاً ومستفيداً من أساتذته الذين كان يكن لهم كل تقدير واحترام ويثني عليهم الشاء الحسن المعبر عن صدق المحبة والوفاء، وفي مقدمتهم أساطين العلم في دمشق والقاهرة، من أمثال الشيخ حسن حبنكة الميداني، والشيخ حسن الشطي، والشيخ محمود ياسين في دمشق، والشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمود شلتوت، والشيخ علي الخفيف في القاهرة.

أعماله:

- بعد نياله الدكتوراه عُين مدرساً بكلية الشريعة بجامعة دمشق, ثم ترقى لدرجة أستاذ مساعد, ثم إلى درجة أستاذ (عام 1975 م).
- أعير للتدريس في كلية الشريعة والقانون بجامعة بنغازي في ليبيا لمدة سنتين, ثم عاد إلى جامعة دمشق.
- دَرَسَ أستاذًا زائرًا في جامعة الخرطوم وجامعة أم درمان بالسودان, وفي المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض.
- أعير للتدريس لمدة خمس سنوات (1984 - 1989 م) في كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات بالعين في دولة الإمارات العربية المتحدة، أنجز خلالها موسوعته التفسيرية المتميزة (التفسير المنير).
- عاد للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق حتى أحيل للمعاش سنة (1997م), فتعاقدت معه الجامعة على الاستمرار بالتدريس والعمل, لحاجتها الماسة إليه في الدراسات العليا, واستمر خمس سنوات حتى أحيل للتقاعد، وبقي يمارس نشاطه العلمي حتى قبيل وفاته.

مناصبه الإدارية:

عُيِّنَ وكيلاً لكلية الشريعة بجامعة دمشق سنة (1967م).
 ثم عُيِّنَ عميداً بالنيابة (إضافة لعمله وكيلاً لكلية) (1967-1969م).
 وأثناء إعارته لجامعة الإمارات عُيِّنَ رئيساً لقسم الشريعة، ثم عميداً لكلية بالنيابة حتى انتهاء فترة إعارته عام (1989م).
 بعد عودته من الإمارات عُيِّنَ رئيساً لقسم الفقه الإسلامي وأصوله في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

كما أصبح رئيساً لمجلس إدارة مدرسة الشيخ عبد القادر القصاب للعلوم الشرعية بدير عطية.

ومن النشاطات والمجالات التي قام بأعبائها رحمه الله:

- عضوية الموسوعة العربية بدمشق.
- عضوية المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - آل البيت - بالأردن.
- عضوية المجمع الفقهي في جدة، والهند، والسودان، وأمريكا.
- عضوية هيئة التحرير في مجلتي نهج الإسلام والتراث العربي بدمشق وغيرها.
- وعمل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية في عدة شركات ومصارف إسلامية، وساهم بشكل كبير في مختلف المؤتمرات والندوات العالمية.
- وكان إلى أن وافته المنية عضواً في مجلس الإفتاء الأعلى في سورية، وعضواً في لجنة البحوث والشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف السورية، ونائباً لرئيس الهيئة الاستشارية الشرعية لمجلس النقد والتسليف في مصرف سورية المركزي، وعضواً لمجلس أمناء صندوق الزكاة والصدقات في سورية.
- وقد بقي مستمراً في أكثر الأعمال التي أشرت إليها في هذه العجالة إلى أن وافته المنية يوم الأحد (24/شوال/1436هـ = 9/ آب/ 2015م) ودفن في بلدته (دير عطية).

ثانياً - أهم مؤلفاته:

لقد ترك الدكتور الزحيلي رحمه الله مكتبة علمية ودعوية وفكرية غنية، فقد اتسم رحمه الله بغزارة الإنتاج قل نظيره في عصرنا وإن مجموع ما قدمه للمكتبة العربية والإسلامية يدفعنا للقول بأنه سيوطي عصره بلا مدافع، وإن غزارة إنتاجه ترجع إلى مجموعة من العوامل لعل من أهمها - فيما أرى -

صرامته في المحافظة على الوقت وتنظيمه فقد كان آية في ذلك وكل ذلك بتوفيق من الله تعالى، وأهم مؤلفاته :

1. آثار الحرب في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة): وهي رسالة الدكتوراه، ط 1/ 1963هـ⁽¹⁾، وترجمت إلى الفرنسية.
2. أحكام الحرب في الإسلام وخصائصها الإنسانية: مترجم إلى الفرنسية في كتاب (شرائع الحرب في العالم).
3. أخلاق المسلم (الموازنة بين الكتاب والسنة في الأحكام) (علاقته بالخالق، علاقته بالمجتمع، علاقته بالنفس والكون): ثلاث مجلدات.
4. الأسرة المسلمة في العالم المعاصر
5. الإسلام وأصول الحضارة الإنسانية.
6. أصول الإيمان والإسلام: يتضمن شعب الإيمان، مجلدان، دار الفكر بدمشق (2008م).
7. الأصول العامة لوحدة الدين الحق: ترجم إلى الفرنسية. كما ترجم إلى الأنكليزية بعنوان (أصول مقارنة الأديان).
8. أصول الفقه الإسلامي: مجلدان، دار الفكر بدمشق (1986م).
9. تجديد الفقه الإسلامي (حوار مع جمال عطية) ضمن سلسلة (حوارات قرن جديد): دار الفكر بدمشق.
10. تخریج أحاديث "تحفة الفقهاء للسمرقندي (ت: 575هـ)" بالمشاركة، مع الأستاذ محمد المنتصر الكتاني.
11. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: (16 مجلدًا) مترجم إلى التركية، والفارسية، والماليزية والأوردية والإنكليزية.
12. جهود تقنين الفقه الإسلامي.
13. حق الحرية في العالم.
14. شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم: دار الفكر بدمشق (2006م).
15. العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث.

⁽¹⁾ وهو أول مؤلفاته صدوراً، وإن لم يكن أولها كتابة.

16. الفقه الإسلامي وأدلته: وهو موسوعة فقهية في (8 مجلدات) في طبعته الأولى و(13 مجلدًا) في طبعاته الأخيرة، وتجاوزت عدد مرات طباعتها العشرين.
17. الفقه الحنبلي الميسر (أدلته وتطبيقاته المعاصرة).
18. الفقه الحنفي الميسر (مجلدان).
19. الفقه الشافعي الميسر: (مجلدان).
20. الفقه المالكي الميسر: (مجلدان).
21. القرآن الكريم (البنية التشريعية والخصائص الحضارية): مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية.
22. من حصاد السنين (حول أهم قضايا العصر): وهو آخر كتبه صدورًا.
23. موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر: (8 مجلدات) جمع فيه أكثر من تسعين بحثًا ورسالة وكتابًا كان قد أصدرها سابقًا ضمن سلسلة (بين الأصالة والمعاصرة).
24. نظرية الضرورة الشرعية (دراسة مقارنة).
25. نظرية الضمان أو أحكام المسؤولية المدنية والجنائية في الفقه الإسلامي.
26. الوجيز في الفقه الإسلامي: (3 مجلدات).

والخلاصة:

فإن إنتاج أستاذنا الزحيلي العلمي تنوع وإن غلّبت عليه الصبغة الفقهية والأصولية، فقد ترك لنا آثارًا لها بصمتها المؤثرة في الاقتصاد الإسلامي، والمعاملات المالية المعاصرة. وأما في تفسير القرآن الكريم فقد ألف ثلاثة تفاسير تُرجم أو سَعها إلى أربع لغات عالمية ونال عليه جائزة أفضل كتاب في العلوم الإسلامية التي تمنحها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقد وُزِع منه في بعض اللغات أكثر من مئة ألف نسخة وتوالت طبعاته حتى نافَت على العشرين باللغة العربية وحدها.

وله أبحاث تناولت السنة النبوية، والعقائد.

وقد اتسمت كتاباته بجمعها بين الأصالة والمعاصرة، كما تميزت بالتحليل والمقارنة حيث دعت الحاجة إلى ذلك.

وكان يفرغ من روحه وهمته في كتابته ما يعطي تلك الكتابات بعدها الأخلاقي والوجداني.

- وأرى لزاماً قبل أن أضع القلم أن أشير إلى بعض الكتابات التي خطها الباحثون حول أستاذنا الزحيلي - رحمه الله - وبعض مؤلفاته، فمن ذلك:
- منهج وهبة الزحيلي في تفسيره للقرآن الكريم (التفسير المنير): رسالة ماجستير من إعداد محمد عارف أحمد فارغ، نوقشت في جامعة آل البيت - الأردن (1998م).
 - تعريف إجمالي للتفسير المنير: أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي، مجلة نهج الإسلام.
 - أضواء على مسيرة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: أ. د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر (2003م).
 - كلمات حفل تكريم سعادة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، طبع الإثنية، جدة، (2001م).
 - وهبة الزحيلي (العالم الفقيه المفسر): د. بديع السيد اللحام، دار القلم بدمشق (2001م).
 - كيف سارت معرفتي للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر (2003م).
 - الدكتور الزحيلي كما عرفته: د. محمد الدسوقي، دار الفكر (2003م).
 - نزهة مع الشيخ وهبة الزحيلي ومقتطفات من إنتاجه الفكري: د. عبد الله حنا، دار الفكر (2003م).
 - العالم المجاهد المخلص: أ. عبد الباسط القصاب، دار الفكر (2003م).
 - الشقيق المرابي والأستاذ الأثير: أ. د. محمد الزحيلي، دار الفكر (2003م).
 - سيرة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في أعماله: د. أحمد راتب حموش، دار الفكر (2003م).
 - الأستاذ وهبة الزحيلي دراسة في كتابه العلاقات الدولية: أ. د. عبد العزيز الخياط، دار الفكر (2003م).
 - الدكتور وهبة الزحيلي وإسهامه في تشريع الإسلام الدولي: د. محمد طاهر المنصوري، دار الفكر (2003م).
 - الدكتور وهبة الزحيلي، دراسة في كتابه (أخلاق المسلم): أ. د. محمود الريدائي، دار الفكر (2003م).
 - دراسة في كتابه (نظرية الضرورة الشرعية): د. عبد الله محمد عبد الله، دار الفكر (2003م).

- دور الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في خدمة أصول الفقه الإسلامي: أ. د. خليفة بابكر الحسن، دار الفكر (2003م).
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي: د. إحسان الهندي، دار الفكر (2003م).
- مع كتاب المعاملات المالية المعاصرة للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: د. محمد توفيق رمضان، دار الفكر (2003م).

